الحجة البالغة

في كون اذاعة القرآن سائغة

الحُجَّةُ البَالِغَةُ

فى كَونْ إذاعَة القُرآنْ سَائِغة

تأليف

حجة العارفين ومربي المريدين وممد الواصلين

الشيخ الحاج إبراهيم بن الحاج عبد الله المرحوم

بمدينة كولخ - سنغال

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

الطبعة الأولى

١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م

على نفقة الحاج أحمد بابه الواعظ

بكوماسي - ساحل الذهب



فضيلة شيخ الإسلام الحاج ابراهيم نياس
ابن الشيخ الحاجي عبد الله نياس التجانية
الكولكي - السنغال

« فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوه إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ »

(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرجيم

قال الأستاذ الإمام العلامة المجدد الهمام أبو إسحاق مولانا الشيخ إبراهيم ابن المرحوم الشيح الحاج عبد الله الكولخي :

(الحمْدُللهِ الَّذِي علَّم بِالْقلمِ عَلَّمَ الإِنْسانَ مَالَمْ يعْلَم - الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبيَانَ - وَقُلْ رَبِّ زِدْني عِلْماً - مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ - وَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ - وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ - قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ - وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ - أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ

وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ - فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ). إلى غيرها من الآيات التي لو جمعناها وتكلمنا على معانيها الجليلة والخفية لضاق عنها نطاق هذه الرسالة.

والصلاة والسلام على عبده محمد رسول الله سيد العرب والعجم، وعلى آله وصحابته والتابعين من أمته أفضل الأمم.

أما بعد: فقد سألني جماعة من علماء كانوا بنجيريا الشمالية وعلى رأسهم أميرها المفخم وسلطانها الأعظم ناصر الدين الحاج محمد السنوسي، حفظه الله ورعاه وبلغه في الدارين متمناه، والسيد الأديب العاقل الأريب الحاج أحمد دَانْتَاتَا بن الحسن، والعلامة النحرير الأستاذ الكبير الحاج أبو بكر عتيق بن الخضر، والعالم العلامة الدراكة الفهامة الحاج عبد الله سلغ، والعالم الصنديد القدوة المجيد الحاج أحمد التجاني ابن عثمان، والسيد الفائق العالم السابق الحاج محمد الثاني ابن الحسن، والفقيه الأمجد التقي

الأسعد الحاج عثمان القلنسوي، والفاضل النبيل السيد الجليل الحاج محمود والوزير الشهير الحاج محمد المنير وغيرهم من العلماء الأعلام، ومفاخر دين الإسلام، وفقنا الله وإياهم لما يحب ويرضى، وداوى بمنه قلوبنا المرضى، وأرانا الحق حقا ورزقنا اتباعه، والباطل باطلا ورزقنا اجتنابه.

قلت: سألوني عن تلاوة القرآن ونشر العلوم الدينية والمواعظ وذكر الله ونحوها من القربات بالمذياع أي الراديو المحدثة. فأجبتهم وأنا على جناح سفر بما نصه:

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ) القائل: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ) والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله القائل «نَضرَ اللهُ ٱمْرَأً سَمعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا» والقائل «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيةً» والقائل «إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هٰذَا الدِّينَ بالرَّجُلِ الفَاجِرِ» وعلى آله وصحابته والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن البدعة قسمها العلماء خمسة أقسام كأقسام حكم الشرع: واجباً ومندوباً وجائزاً ومكروهاً ومحرماً؛ فما كان عوناً في البر، ووسيلة إلى الخير وتبليغ رسالة النبي صلى اللهُ عليه وسلم، وإقامة شرائع الإسلام ألحقوه بالواجب، وما كان وسيلة إلى الخيرات ألحقوه بالمندوب، وما كان ليس مضرة للدين ألحقوه بالقسم الجائر، وما فيه أماتة السنة ألحقوه بالمكروه، وما فيه ضلالة وفساد ألحقوه بالمحرم؛ وهذه الأشياء المحدثة في العصر الحاضر إن لم نُلحقها بالواجب فلا أقل من إلحاقها بالمندوب، فإن العلماء جعلوا كَتْبَ المصاحف ونَصْبَ المدارس لنشر العلم وكتب الحديث وكتب المصاحف من الواجب والمندوب، وقد حدثت في الزمن الحاضر هذه المسجَّلات والمكبرات للصوت والمذياعات، وفيها وسلة وعون على نصرة الدين؛ ألا ترى الحُجاج الذين يزداد عددهم في كل عام - والحمد لله - كيف أمكنهم الاجتماع لصلاة الجماعة خلف إمام واحد بسبب المكبرات التي أحدثت في المسجد الحرام؛ فالوسيلة إلى الطاعة

طاعة، وقد رأينا كيف صارت هذه السفن وهذه السيارات والطائرات والمواصلات التليفونية وغيرها عوناً للمسلمين على دينهم والأعمال بالنيات، والمؤمن يلتمس أحسن المخارج، والعلماء مكلفون بالتيسير والتبشير لقوله عليه الصلاة والسلام: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا» وما عمت به البلوى يُلتمسُ له وجه شرعي، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، وداوى بمنه قلوبنا المرضى، آمين والسلام.

هكذا اختصرتُ لهم الجواب أوّلاً، ثم أتبعته برسالة ثانية لما كثر من الجهال القيل والقال ونصها:

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى. فخامة أمير المؤمنين، وناصر سنة خير المرسلين، أمير كنوا الحاج محمد السنوسي، حفظكم الله ورعاكم، وأيدكم ونصركم، وأراكم الحق حقا ورزقكم اتباعه، والباطل باطلا ورزقكم اجتنابه، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقد وقفت على رسائل عديدة بعث بها إليكم بعض المنتسبين للعلم أكثر الله أمثالهم - وفرحت بوجود من يتصدى لهذا، وكلهم يتكلم في سؤالكم عن حكم تلاوة القرآن في المذياع - أي الرَّاديو؛ فمنهم من حرّم، بل نتيجة كلامه تنحو نحو التكفير وجلب نصوصاً وضعها في غير موضعها، ولم أقل ما قال أبو محمد مؤلف الرسالة لعبد السلام يا ليتَ أمَّك لم تلدك، وليتها إذ ولدتك لم تتعلم، وليتك إذ تعلمت لم تتكلم.

ذكر أن الآلة آلة لهو وفي موضع السفهاء، وحقه أن يقول لا أدري ما هذه الآلة، ولم أتبين وجه السؤال:

ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري

وأنك لا تدري بأنك لا تدري

وَقد سئل الإمام عليّ كرم الله وجهه عن سبب كثرة الخلاف؟ فقال: لو سكت من لا يعلم لارتفع الخلاف؛ فالراديو محدثة تكبر الصوت وتبلغه الى حدّ بعيد يعجز اللسان عن تبليغه إليه بدونها مع تفاوت مراتبها، يستعين

بها المتكلم إلى تبليغ أو إسماع؛ والكلام فيها إن كان قرآناً فهو قرآن، وإن كان وعظاً فهو وعظ، وإن كان علماً فهو علم وإن كان ذكراً فهو ذكر، وإن كان لهواً فهو لهو؛ وتعظيم القرآن والمحافظة على آداب التلاوة وتدبر المعاني أو الغفلة والسهو والتلحين حالات ترجع إلى القرَّاء سواء بواسطة الراديو أو بدونها؛ فإن جاء قارىء خاشع باكٍ حزين متدبر وقرأ أمامها أذاعته كذلك أو كبرته كذلك؛ كما أنه لو تكلم فيها صاحب لهو بمجون أذاعته كما هو؛ فالراديو إذاً ليست آلة لهوٍ وموضعها ليس موضع لهو إلا إذا كانت عند أهل اللهو، وإذا كانت في موضع أهل التعبد كالمساجد كانت موضع عبادة لا موضع لهو؛ على أن الذاكرين عند الغافلين ورد النص بالثناء عليهم في الحديث، وورد الذكر المأمور به في الحديث الصحيح في الأسواق لكثرة الغافلين فيها، فأحب الشارع صلى الله عليه وسلم الذكر فيها كما شرع التحصيب وهو النزول

بالمحصب خيف بني كنانة[١]، والمسعى بين الصفا، والمروة وكان يطاف بينهما بعبادة الأوثان، وغير ذلك من مقاصد الشرع السنية.

وكم متعـــالم يسطو بجهـــل
يرى أن يسبـق النقـاد أَيْدَا
عـلى العلماء ينقد وهو غمر
ولا يـــدري قُبيـلا من بعيـدا
كقنفـذ إذ يتيه على الأراني
بلـــين المس منفردا ببيـــدا

وإذا تأملنا في أمصار المسلمين اليوم وفي كلها تخفق راية الإسلام، والمرجع عندهم في الأحكام إلى الكتاب والسنة كالحرمين الشريفين ومصر والشام واليمن والعراق والقدس الشريف وفارس واستنبول وباكستان وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وغيرها إلى جماعة المسلمين في

---

(١) غرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس، وبها سمي مسجد الخيف اهـ قاموس.

أوربا وكلهم مجمعون على استعمال هذه الآلات حتى في نفس الصلاة، ومئات الألوف من جهابذة العلماء مسلّمون لهم رأينا أن تخطئتهم ليست بالأمر الهين، ومن نسبهم إلى ضلالة فقد نسب الأمة المحمدية التي لا تجتمع على ضلالة إلى ضلالة، وإجماع الأمة معصوم من الخطأ بوعد صادق منه صلى الله عليه وسلم؛ ألا ترى الحجاج في المسجد الحرام يُصلِّي بهم حول الكعبة إمام بهذه الآلة وفي المحراب النبوي وحولهم مئات الألوف من العلماء الذين أحاطوا بالشريعة وهم مسلِّمون بالقول أو بالسكوت أنحسن الظن بعباد الله ونلتمس أحسن المخارج أم نخطئهم ونحكم على الإمام بالفسق لإصراره على محرم؟ فليُعد هذا الكاتب المحرِّم أو المكفر نظراً، فمحرم الحلال كمحلل الحرام، ومن قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما؛ فالرجوع إلى الجماعة وقول لا أدري فيما لا يدري أو السكوت أسلم.

ليس من أخطأ الصواب بمخط
أن يئوب، ولا عليه ملامه

حسنـات الرجوع تذهب عنه

سيئـات الخطـا وتبقـى الملامه

إنما المخطىء المسيء من إذا ما

ظهر الحــق لـجَّ يحمي كلامـه

فالمؤمن يلتمس أحسن المخـارج ويقبــل المعاذير، والمنافق يتتبع العورات وقول بعضهم أخذنا بالأصل، الأصل في كل شيء عدم الحرمة حتى يثبت دليل على التحريم وإلا فهو تقدم بين يدي الله ورسوله في تحريم، بل ليس هذا وظيفة المقلد، فوظيفة المقلد التقليد وسـؤال أهل العلم (فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ - وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ). والعاقل إن جهل شيئاً يجعله من جملة مجهولاته:

وقـل لمن يدَّعي في العلم معرفة

عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

وحافظ الحجة حجة على من لم يحفظ، والمثبِت مقدَّم على النافي، واحتجاج من تكلم في المسألة بقوله تعالى: (وَيَخْلُقُ مَالاَ تَعْلَمُونَ) في غاية الوضوح عند من نوَّر الله

بصيرته وله فيه سلف. سئل محمد ابن ادريس الشافعي رحمه الله عن قوله تعالى (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) وأين ذكر هذه السفن البحرية والبرية التي حدثت في الزمن الأخير فقال: قال تعالى (وَيَخْلُقُ مَالاَ تَعْلَمُونَ) وكذلك، (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ):

وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم

والقرآن بحر لا ساحل له، لا ينتهي معناه عند ما يعلم العبد (وَلَوْ أَن مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللهِ).

وإذا لم تر الهلال فسلّم
لأناس رأوه بالأبصار
والأصل في التضييق ضيق الباع
وعدم الفهم والإصلاح

وإني أيها الأمير أجدد لك الفتوى بأن استعمال هذه

الآلـة في العبـادات أمر جائز أو مندوب في بعض الحالات، والقارىء يجب عليه أن يحافظ على آداب التلاوة من تعظيم كلام الله تعالى سواء أمام الراديو أولا واللهو لسنا بصدده، واستعانة أهل اللهو بها لا تمنعنا من الاستعانة بها في القربات و« كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ » ودين الله يسر (وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ). والحق أحق أن يتبع « وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ». وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، وداوى بمنه قلوبنا المرضى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته اهـ.

تلك هي الرسالة الثانية والكل وأنا على جناح سفر ليس عندي كتب. ولقائل أن يقول هذه وظيفة المجتهد يعني ترك العزو إلى من تقدم من العلماء.

ثم وقفت بعد بضعة أسابيع على كتاب موجّه إلى فخامة الأمير المذكور، أيده الله ونصره آمين. استهله كاتبه بقوله: من أمير كذا وكذا فلان بن فلان إلى أمير كنوا، سلام واحترام.

أما بعد: فقد وقفنا على سؤالكم عن قرأة القرآن في

الراديو واجتهدنا في طلب الحجة غاية الاجتهاد في الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح فما وجدنا فيها نصا نعتمد عليه في الجواز.

هذه هي جواهر حروف المجيب وقد اقتصر بقوله في الجواز وحقه أن يقول في الجواز أو التحريم، على أنه ليس ممن لهم الاجتهاد. فمجاراة مع الفاضل في رسالته أقول: قال العلامة الموَّاَقُ في سنن المهتدين عازيا إلى أبي عمر وهو ابن عبد البر المالكي مانصه: مالم ينه الله عنه ولا نبيه ولا اتفق الناس على النهي عنه فلا معنى لمن كرهه اهـ. وقد رأيت أن صاحب الرسالة قال مصرحاً إنه بعد اجتهاده، ومقصوده من اجتهاده نظره في الكتب لم يجد نصا، وهذا تصريح بأنه لم يرد في المسئلة نهي: لافي الكتاب ولا في السنة ولا في الإجماع ولا في القياس الصحيح. وفيه أى في سنن المهتدين نقلا من التمهيد أحد كتب الإسلام الأربعة وأسند إلى أسامة بن شريك قال «شَهِدْتُ ٱلْأَعَارِيبَ يَسْأَلُونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل علينا جُناحٌ في كذَا وَ كذا؟ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم:

عِبادَ الله إنّ الله قد وضعَ الْحَرجَ إلا امْرَأً اقترض من عِرْضَ اخيه شَيئاً فَذلك الذي حَرِجَ وَهَلَكَ » وخرَّج البخاري عن النعمان بن بشير قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « ألحلالُ بيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ وبَيْنَهُمَا مُشْتَبهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ » إلى آخر الحديث. قال في فتح الباري قال البغوي: واستنبط منه بعضٌ منع إطلاق الحلال والحرام على ما لا نص فيه لقوله « لا يعلمها كثير من الناس » اهـ. فهذا نص في تحريم ما لا نص في تحريمه.

ثم عقد البخاري باباً فقال: باب من لم ير الوساوس ونحوها من الشبهات؛ وعدّ في الفتح من الوسوسة أن تترك شيئاً مخافة تحريمه وما ثَمَّ موقع لهذا الاحتمال شرعاً اهـ.

وقول الكاتب صريح في أنه لم يجد شيئاً يفهم إباحة ولا تحريماً فكيف يتجاسر بعد ذلك على القول بالتحريم والله تعالى يقول: (يَا أَيُّهَا ٱلَّذِين آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِه) الآية. لاشك في أن هذا تنطع وغلوٌّ في

الدين، ثم ذكر الكَاتب أن علة التحريم هي تعظيم كلام الله عن الإهانة؛ لأن تلاوته في الراديو تؤدي إلى قلة تعظيمه عند العوام وقلة تعظيمه تؤدي إلى إهانته وإهانته كفر ولذلك منعوه سدّاً للذريعة. هذا كلامه، قال:

أوردها سعد وسعد مشتمل
ما هكذا يا سعد تورد الإبل

وهذا الكلام بعينه عكس الواقع، فإن الواقع هو أن الناس حتى العوامّ لا يتكلمون في الراديو إلا بكلام يعظمونه أى يعتقدونه أهم شيء ولا سمعوا بكلام على الراديو إلاَّ أصغوا له واعتبروه، هذا بشهادة العيِان. وليس بعد العيان بيان.

ولكى يندفع ما يتوهمه هذا الكاتب من أنّ تحسين الصوت بالقرآن لهو وإهانة نخرِّج له حديث البخاري، عن عبد الله بن مغفل المزني قالَ: «رأيْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يوْم الفتْح على ناقةٍ لَهُ يقرْأ سُورةَ الفَتْح أوْ مِنْ سُورة الْفتْحِ قالَ فرجَّع فيها. قالَ: ثم قرأ مُعاَوِيةُ

يحكي قِرَاءة ابن مُغَفَّل وقال: لولا أن يجتمعَ النَّاسُ عَلْيكُمْ لرجَّعت كما رجع ابن مُغَفَّل يحكى قراءة النَّبِي صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ لمعاوية كيفَ كان ترجيعه؟ قالَ: آ آ آ ثلاث مراتٍ». وفي فتح الباري قال ابن بطال: في هذا الحديث إجازة القراءة بالترجيع والألحان الملذذة للقلوب بحسن الصوت. وقول معاوية: لولا أن يجتمع الناس، يشير إلى أن القراءة بالترجيع تجمع نفوس الناس إلى الإصغاء وتستميلها بذلك حتى لاتكاد تصبر عن استماع الترجيع المشوب بلذة الحكمة المهيمة، انتهى الغرض منه.

وقال في روح البيان: ولما كان القرآن أصدق الأحاديث وأملحها وسماعه والإصغاء إليه مما يستجلب الرحمة من الله اسْتُحِبَّ التغني به وهو تحسين الصوت وتطييبه، لأن ذلك سبب للرقة وإثارة للخشية على ماذهب إليه الإمام الأعظم اهـ.

قلت: أضف إلى ذلك إن كان القارىء في مصر أو

مكـة المكرمة أو لندن أو باريس أو غيرها وكان المستمع بنجيريا أو سنغال أو غيرهما فيجمع مع التفكر في المتلوّ التفكر في القدرة التي أحدثت هذه القدرة في الإنسان حتر وصلت إلى الأسماع كسائر الآفاق والاستماع من سائر الآفـاق وكيـف تيسر للمسلمين سماع القرآن بواسطة الراديو هذه الآلة التي أحدثها غير المسلم مجازا بعد ما كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على أن يُسمع الناس القرآن والدعوة، فقد كان صلى الله عليه وسلم إذا خطب النـاس رفع صوته، وقد كان يصعد على الجبال ليلا كاملاً حتى قالوا انه مجنون، أليست هذه الآلة عوناً على تبليغ رسالته صلى الله عليه وسلم، ومن لا يحسن القراءة اليوم يسمع القرآن بواسطة هذه الآلة ممن يحسنها، ومن يلحن يسمع قارئاً ماهرا فيقوِّم لحنَه وفساده، فإن تخيل لكاتب الرسالة أن في قراءة القرآن فيها مفسدة، ففيها أيضا مصلحة أعظم منها. قال في سنن المهتدين قال الفقهاء: إن المصلحة إذا كانت أعظم من المفسدة حصلت المنفعة مع التزام المفسدة كما يبذل في فكاك الأسرى، وللظالم

افتداء من المتعدي باتفاق، وإذا اجتمع ضرران وُقي الأصغر للأكبر[1] وانظر فاحشة الكذب كيف تضمحل في جنب إصلاح ذات البين اهـ. فإذا وجد شيء فيه شر قليل وخير كثير لايترك الخير الكثير لوجود الضرر اليسير كما في خلافة آدم على أن من ذريته من يتبع إبليس ويكون من أهل النار لما كان من ذريته الأنبياء والمرسلون والأولياء والصلحاء ثم قال: وبعضهم أفتى بالجواز، واحتج بقوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إلى الله) وقوله: (وَيَخْلُقُ ما لاَ تَعْلمونَ) وقولُهُ (وإنْ منْ شَيْءٍ إلاَّ عِنْدَنا خَزَائنه وما نُنَزِّله إلاّ بِقَدَرٍ معلوم) وقوله (ما فَرَّطْنَا في الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) وبقوله صلى الله عليه وسلم «نضّر الله امرَأً سَمَع مَقالتيِ فَوعَاها وأدَّاها كما سمعَها» وقوله «بَلّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيةً» وكل هذه النصوص ليست واردة في قراءة القرآن على مسالك اللهو وأهله،

---

(١) لعل المؤلف يقصد من هذه العبارة القاعدة القائلة (إذا اجتمع ضرر ارتكب أخفهما) مصححة.

ولكنها وردت على أمور شتى لسنا بصددها ولذلك لم نرها حجة لقراءة القرآن على الراديو.

أقول:

ما ضر شمس الضحى إذ كان طالعة
أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفمّ طعم الماء من سقم

أما الدعوة إلى الله تعالى فقد قسم العلماء الدعاة إلى الله تبارك وتعالى على أقسام. قال الصاوي: فمنهم الداعون إلى الله بالتوحيد والجهاد، وبالأحكام الشرعية، وبزوال الحجب الكائنة على القلوب بمشاهدة علام الغيوب، وبالإعلام بأداء الفرائض، هذا ملخص ما في حاشيته، ومن الدعاء إلى الله الموعظة والإنذار والتذكير كما قال تعالى (وأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) الآية. فمن بلَغه القرآن فما فكأنما أنذره النبي صلى الله عليه وسلم، ومن لم يبلغه القرآن فما خرج من الفترة؛ فتبين بهذا أن تبليغ القرآن دعوة الى الله بل

كل أنواع الدعوة إلى الله مجتمعة في تبليغ القرآن إلا عند من طمس الله بصيرته. وما وقع لكاتب الرسالة يعدّ من تلبيس إبليس عليه حيث جعل قراءة القرآن لهواً، فلا ينصت إليه ولا يستمع لمواعظه وهذا حرمان عظيم. قال ابن الجوزي: من تلبيس إبليس على الفقهاء أن يجلس لهم الواعظ ويقولون هو قاض، ومراد إبليس أن لا يحضروا في مكان يرقّ فيه القلب ويخشع قال سبحانه: (وَ كلاًّ نقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَ نْبَاءِ الرسل مَا يُثَبِّتُ بهِ فُؤادكَ). وقيل لعبد الله بن المبارك: نجد المواعظ في الكتب؛ فقال: لا بأس، وإن وجدت موعظة على حائط فانظر فيه تتعظ اهـ.فالعبرة بما يجمع القلب على الله؛ فمن سمع القرآن من آلة أية آلة فحكمة أن يستمع له كما يستمع للإنسان ويجب عليه ما يجب عليه عندما يسمعه من الإنسان، وعلى القارىء في الآلة ما يجب على القارىء في غيرها من آداب التلاوة التي سنذكرها مستوفاة في هذه العجالة إن شاء الله.

ألا ترى إلى قول الإمام مالك إمام دار الهجرة ونصه

كما في سنن المهتدين: نقل عياض عن مالك أنه قال: لو علمت أن قلبي يصلح بالجلوس على كناسة لجلست عليها ولا شك انه لا مقصد للشرع في الجلوس على كناسة بل هو مباح خسيس، ولكن الإمام أخبر عن نفسه أن ذلك لو كان يفضي به إلى إصلاح قلبه لاضمحلَّت خسته عنده في جنب صلاح قلبه، ولا شك أن من هذا المأخذ استحسان الشاطبي فعل الإمام الذي التزم شعراً ينشده دبر كل صلاة قال وهذا نحو ما تقدم عن المشايخ: ما جمع قلبك إلى الله فلا بأس به.

وقال السيوطي كما في الإتقان قال تعالى « مَا فَرَّطْنَا في الْكِتَابِ مِنْ شَيءْ »وقال: « وَنَزّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ تِبيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ».

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم « سَتَكُونُ فِتَنٌ قَالُوا وَمَا المَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: كِتَابُ الله، فِيه نَبأ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ

مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ ما بَيْنَكُمْ » أخرجه الترمذي، وقال الشافعي جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن. وقال الشافعي ايضا: ليست تنزل على أحد نازلة في الدين إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها.

وقال في الإتقان: ما من شيء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمَّه الله. وقال ابن أبي الفضل: جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها إلا المتكلم بها ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا ما استأثر الله به سبحانه، ثم ورث معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس حتى قال: لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في القرآن، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان، ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه فنوَّعوا علومه وقامت كل طائفة بفنّ إلى أن قال: وأما الهندسة ففي قوله (ٱنطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ) الآية، إلى ان

قال وجميع ما وقع وما يقع في الكائنات ما يحقق قوله: (ما فرَّطنا في الكتابِ من شيءٍ) انتهى كلام السيوطي نقلا من الإتقان باختصار.

وقال الشيخ إسماعيل الحقي في تفسيره روح البيان.

واعلم أن في الأمة المحمدية من يأخذ العلم من الله بلا واسطة؛ فقوله تعالى (و يَخْلقُ ما لا تَعْلَمُونَ) اى قبل الرجوع إليه وهو قبول فيض الله بلا وساطة. قال الشيخ الأكبر: سكت النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستخلاف إذ في أمته من يأخذ العلم عن ربه فيكون بباطنه خليفة الله، وبظاهره خليفة النبي صلى الله عليه وسلم، فهو تابع ومتبوع وسامع ومسموع، ومع ذلك فهو يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملَك الموحى إلى الرسول والمعدن الذي يأخذه منه الرسول، وقد نبه سبحانه على ذلك بقوله (أَدْعُو إِلى الله عَلَى بَصِيرةٍ أنا ومنِ اتبَّعَنيِ) بيد أن الرسول قابل للزيادة في ظاهر الأحكام والخليفة الولي ليس كذلك بل ناقص عن رتبة النبوة اهـ.

فبهذا تعلم أن لفظة «ما» في قوله تعالى (وَيَخْلُقُ مَا لا

تَعْلَمُونَ) تحمل من العلوم والأشياء ما لا نهاية له ، فإذاً كيف يصح من طالب علم مثل كاتب الرسالة قصير الباع قليل ما عنده من الكتب وقليل المطالعة له ، وقليل الفهم لما طالع أن ينفي شيئا مما تحملها لفظة « ما » في قوله تعالى (و يَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ).

واعلم أن الله تبارك وتعالى كما قال في روح البيان قال (وما أُتِيتُمْ منَ الْعِلْمِ إلا قَليلاً) وكيف يحصر من كان قليل العلم مخلوقات الله تعالى الغير المحصورة التي هي مظاهر كلماته التامة وأسمائه العامة فالأولى السكوت؛ وقد أظهر الأنبياء العجز مع سعة علومهم وإحاطة قلوبهم ، فما ظنك في حق أفراد الأمة اهـ .

وأما نقله كلام الصاوي في آداب قراءة القرآن منها أن لايقرأ بألحان الغناء كلحون أهل الفسق الخ .

فياليت شعري أية مناسبة بين هذا وبين ما نحن بصدده ، بيد أنا نقول إنه إن كان مقصودة ان التالين في الراديو منهم من يقرأ القرآن بالألحان والقراءة بالإلحان منعها أحمد الصاوي؛ فهذا ابن العربي المالكي قبل الصاوي

وقد تعلم مكانته في العلم والفقه والتفسير والحديث، ونص كلامه في الأحكام: استحسن كثير من فقهاء الأمصار القراءة بالألحان والترجيع، وكره ذلك مالك فهو جائز انتهى كلامه.

وها أنا أذكر لك آداب التلاوة زيادة على ما ذكره الصاوى مختصرا من الإتقان للشيخ السيوطي قال: يستحب الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته، قال تعالى مثنيا على من كان دأبه (يَتْلُونَ آيَاتِ الله آنَاءَ اللَّيل) الآية؛ وروى الترمذي من حديث ابن مسعود «مَنْ قرأ حرفاً منَ القرآن فلهُ به حسنةٌ والحسنة بعَشْرِ أَمْثَالها» وأخرج من حديث عبيدة المكى «يا أَهْلَ القُرْآن لا تَوَسَّدُوا القُرْآن واتلُوهُ حَقَّ تلاوَتِهِ آناءَ اللَّيْل وأطْرَافَ النهار وأفشُوه وتَدَبَّرُوا ما فِيهِ لعلَّكم تُفْلِحُونَ».

° ويستحب الوضوء لقراءة القرآن، وتسن القراءة في مكان نظيف؛ وكره قوم القراءة في الحمام والطريق. وقال النووي: ومذهبنا لا تكره فيهما. ويستحب أن يجلس مستقبلا متخشعا بسكينة ووقار مطرقاً رأسه ويسن

أن يستاك تعظيما وتطهيرا. ويسن التعوذ قبل القراءة، وليحافظ على قراءة البسملة أول كل سورة ولا تحتاج قراءة القرآن إلى نية. ويسن الترتيل، قال تعالى (ورَتِّل القرآن ترتيلاً) وروي أبو داود عن أم سلمة (أَنَّها نعتَتْ قراءة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قراءة مُفَسَّرَةً حَرْفاً حَرْفاً» وتسن القراءة بالتدبر، ويستحب البكاء والتباكي والحزن والخشوع، ويسن تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها لحديث «حَسِّنُوا القرآنَ بِأصواتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الحَسَنَ يَزِيدُ القُرآن حُسْناً» قال: وأما القراءة بالإلحان، فنص الشافعي أنها لابأس بها، وعلى الحديث «اقْرَءُوا القُرْآنَ بِلحُونِ العَرب وإياكُم ولحونَ أهل الكتابَينِ وأهْلِ الفسقِ» الخ. قال النووي: ويستحب طلب القراءة من حَسَن الصوت والإصغاء إليها للحديث الصحيح الخ، ووردت أحاديث تقتضي استحباب رفع الصوت بالقراءة وأحاديث تقتضي الإسرار وخفض الصوت؛ فمن الأول حديث الصحيحين «ما أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لنبيٍّ حَسَنِ الصَّوْت يتغنَى

بالقُرْآن أَنْ يجْهَرَ بِهِ » والقراءة في المصحف أفضل من حفظه لأن النظر فيه عبادة؛ ويكره قطع القراءة لمكالمة أحد ولا تجوز قراءة القرآن بالعجمية مطلقاً سواء أحسن العربية أم لا ، في الصلاة أم خارجها ؛ وعن أبي حنيفة أنه يجوز مطلقاً؛ والأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف، ويسن الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغط والحديث. ويسن السجود عند آية السجدة، وأفضل أوقات القراءة بعد صلاة الليل وأفضلها في النهار بعد الصبح، ولا تكره في وقت من الأوقات. ويسن صوم يوم الختم، ويستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن، ويسن إذا فرغ من ختمة أن يشرع في أخرى! قال وميل الناس إلى تكرار سورة الإخلاص، والحكمة فيها أنها تعدل ثلث القرآن انتهى من الإتقان باختصار وحذف اكتفاء بالغرض.

فمن قرأفعليه أن يحافظ على الآداب أمام المذياع أو في أي مكان، ولا منافاة بين المحافظة عليها وبين التلاوة فيها، فهي أمام التالي تبلِّغ صوته إلى ما لا قدرة له على تبليغه إليه فقط، ففيها أي في إذاعته إياها زيادة خير

لازدياد المستمعين. وكان الشاذلي رضي الله عنه يقول لأصحابه: أعلنوا بطاعتكم إظهارا لعبوديتكم كما يتظاهر غيركم بالمعاصي.

[تنبيه] ما تقدم من كلام ابن العربي المالكي من قوله وكرهها مالك وهي جائزة يفهمك معنى الكراهة إذا قيل كره مالك كذا وكذا فالكراهة في هذا نحوه وليست كراهة شرعية بل إرشادية أي ما أحب أن يفعل ذلك.. قال السيوطي في الحاوي نقلا عن القرافى في الذخيرة ما نصه: قال وكره مالك الترقيق والتفخيم والروم والإشمام في الصلاةلأنها تشغل عن أحكام الصلاة وليس المراد بهذه الكراهة التي هي أحد الأحكام الخمسة التي يصفها الأصوليون بأنها داخلة في قسم القبيح كالحرام، بل الكراهة في كلام الأئمة المجتهدين كمالك والشافعي لها إطلاقان: أحدهما هذه ويعبر عنها بالكراهة الشرعية. والآخر أحب، واختار ألا يفعل ذلك من غير إدخاله في قسم القبيح، ويعبر عن هذه بالكراهة الإرشادية وهذه الكراهة لا ثواب في تركها ولا قبيح في فعلها وقد ذكر

أصحابنا ذلك في قول الشافعي.وأنا أكره المشمس من جهة الطب، فاختلفوا هل هذه الكراهة شرعية يثاب عليها أو إرشادية لا ثواب في تركها على وجهين. وقال الشافعي وأنا أكره الإمامة لأنها ولاية وأنا أكره سائر الولايات فليس مراد الشافعي بذلك الكراهة التي هي أحد أقسام الحكم الخمسة الداخلة في قسم القبيح، كيف والإمامة فرض كفاية لأن بها تنعقد الجماعة التي هي من فروض الكفاية، والرافعي يقول إنها أفضل من الأذان وفي كل منهما فضل وذلك منافٍ للكراهة قطعاً، وإنما مراد الشافعي أنه لا يجب الدخول فيها ولا يختاره للمعنى الذي ذكره، فهي كراهة إرشادية لها شرعية، فلو فعلها لم يوصف فعلها بقبح بل هو آت بعبادة فيها فضل إجماعا: إما فضل يزيد على فضل الأذان كما هو رأي الرافعي وينقص عنه كما هو رأي النووي، ولو كانت الإمامة مكروهة كراهة شرعية لم يكن فيها فضل ألبتة، لأن الكراهة والثواب لا يجتمعان اهـ.

وأما قوله المتقدم: ولذلك منعوه سدا للذريعة، فيا

ليت شعري ما وجه سد الذريعة في هذه المسألة عند الكاتب وما معنى سد الذريعة عنده؟ الذريعة في المسألة التي ظاهرها الإباحة ويتوصل بها إلى فعل المحظور قال الباجي ذهب مالك إلى المنع من الذرائع. وقال أبو حنيفة والشافعي لا يجوز منعها. قال الشوكاني قال القرطبي: سد الذرائع ذهب إليه مالك وخالفه أكثر العلماء تأصيلا ثم قرروا موضع الخلاف أن ما يفضى إلى الوقوع في المحظور إما أن يفضى إلى الوقوع قطعاً. أولا: قال ابن الرفعة: الذريعة ثلاثة أقسام أحدها ما يقطع بتوصيله إلى الحرام فهو حرام. والثاني ما يقطع بأنه لا يوصل. والثالث ما يحتمل الخ ما قرروا، انظر إرشاد الفحول. قوله: اجتهدنا غاية الاجتهاد. فالاجتهاد استفراغ الوسع في طلب العلم بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من نفسه بالعجز عن المزيد فيه.

وللاجتهاد أحكام: الأول واجب عيني على مسئول عن حادثة وقعت وخاف فوتها، وكذلك إن كانت الحادثة قد حصلت له شخصياً وأراد معرفة حكمها. الثاني

واجب كفائي على مسئول لم يخف فوت الحادثة ولا إثم غيره من المجتهدين، فإذا تركوه كلهم أثموا، وإذا أفتى أحدهم سقط الطلب عن جميعهم. الثالث الندب وهو الاجتهاد في حكم حادثة لم تحصل، سواء سئل عنها أم لم يسئل. والمجتهد كل من اتصف بصفة الاجتهاد ويجب أن يتوفر فيه الشروط الآتية:

أولا: العدالة، وهذا شرط لجواز الاعتماد على فتواه، أما أخذه هو نفسه باجتهاده فلا يشترط ذلك له.

ثانياً: أن يكون ملماً عالماً عارفاً محيطاً بمدارك الأحكام الشرعية وأقسامها وطرق إثباتها ووجوه دلالاتها على مدلولاتها واختلاف مراتبها، عارفاً جهات ترجيحها عند تعارضها، متمكنا من استشارة الظن بالنظر فيها، وتقديم ما يجب تقديمه وتأخير ما يجب تأخيره عارفاً كيفية استثمار الأحكام منها قادراً على تحريرها وتقريرها ومدارك الأحكام. وأدلتها التفصيلية هي: الكتاب والسنة والإجماع والقياس؛ فالكتاب القرآن وهو اللفظ العربي المنزل على محمد ﷺ للتذكر والتدبر المنقول متواترا،

وهو ما بين دفتي المصحف المبدوء بفاتحة الكتاب والمختوم بسورة الناس، وهو عمدة الشريعة وقطبها، وعليه تدور الأدلة الأخرى. والسنة ما جاء منقولا عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أوتقرير، وهي حجة في الدين. والسنة هي التي جاءت مبينة لما أجمل من الأحكام، قال تعالى« وَأَنْزَلْنَـا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا أُنْزِّلَ إِلَيْهِمْ » والإجماع اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ في عصر على حكم شرعي، ولا ينعقد الإجماع إلا عن مستند، فالفتوى بدون مستند خطأ إذ لا تكون قولا في الدين بغير علم، والأمة معصومة عن الخطأ وقد قال ﷺ « لاَتَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلاَلَةٍ ». والقياس حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما، فيثبت للفرع من الحكم ما للأصل، فلا يثبت بالقياس أحكام ابتداء أى بدون أصل ثبت حكمه، انظر [أعلام الموقعين]. فبهذا تبين لصاحب الرسالة أن ليس له الأجتهاد، اللهم إلاَّ إذا أراد المعنى اللغوىَّ الذي هو استفراغ الوسع في تحقيق أمر من الأمور مستلزم للكلفة والمشقة إن كان وقع منه ذلك.

والدعـاوى ما لم تقيموا عليها
بينـــات أبناؤهـــا أدعيـاء
يا بارى القوس بريا لست تحسنـه
أتعبت نفسك أعط القوس باريها
إذا لم تستطـع شيئـاً فدعه
وجـــاوزه إلى مـــا تستطيـــع

وأما الإجماع فإجماع الأمة معصوم للأحاديث الواردة في ذلك، والمعتبر من الأمة العلماء لا الغوغاء، والمسئلة التى تكلمنا عليها قد وقع عليها الإجماع في العصر الحاضر كما بينت ذلك في الرسالة المتقدمة.

وأما الأحاديث: فمنها ما أخرج الطبراني في الكبير عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال« لنْ تَجتَمِعَ أُمَّتى عَلَى ضَلاَلَةٍ » ومنها ما أخرج أبو داود عن أبي مالك الأشعري عنه صلَّى الله عليه وسلم أنَّهُ قالَ« إنَّ اللهَ أجَارَكُمْ مِنْ ثَلاثَ خِلاَلٍ: أنْ لاَ يَدْعُوَ عَلِيكُمْ نَبيُّكُمْ فَتهْلكُوا، وأنْ لاَيَظْهَرَ أَهْلُ اْلباَطِل عَلَى أَهْلِ اَلحْقِّ، وأنْ وأنْ لاَ تَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلاَلَةٍ » ومنها ما أخرج الترمذي

عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «لاتجتمعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلاَلَةٍ وَيَدُ اللهِ مَعَ اَلْجمَاعَةِ فَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ».

وفي الأحكام للعلامة الآمدى: والحق أن الإجماع عبارة عن اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد في عصر من الأعصار على حكم واقعة من الوقائع، ثم قال: واتفق أكثر المسلمين على أن الإجماع حجة شرعية يجب العمل به على كل مسلم.

وقال أعنى كاتب الرسالة وبحثنا غاية البحث ولم نجد ضرورة تدعو إلى قراءة القرآن بواسطة الرَّاديو في كل موضع من المواضع، ولم نر أجراً لمن قرأ القرآن في الراديو، بل له أجر على تركه، لأنه ترك البدعة لقوله صلى الله عليه وسلم «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ» وقوله عليه الصلاة والسلام «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» ولذلك لا نرضى بقراءة القرآن في الراديو لتعظيم كتاب الله من الإهانة وما يؤدى إليها.

فقوله: وبحثنا، لعله كقوله اجتهدنا، فكاتب الرسالة

لا يلقى بالا إلى مقتضيات الألفاظ ، فالبحث هو إثبات المحمول للموضوع أو نفيه ، فعلى هذا لا معنى للبحث هنا ، وقد تحكم على الله بجزاءة ووقاحة فنفى ثبوت الأجر لمن قرأ القرآن في الراديو معللا بأنها بدعة ضلالة. والبدعة التي هي ضلالة كما قال العلماء ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً ، وما أحدث من الخير لا يخالف شيئاً من ذلك فيلحق بالسنة. وفي حديث مسلم « مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمَلَ بِهاَ وَ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً » الحديث. قال النووى: فيه الحث على استحباب سن الأمور الحسنة ، وتحريم سن الأمور السيئة إلى آخر كلامه فافهم.

فأنت ترى أن من أحدث خيراً لا يخالف كتاباً ولا سنة فقد سن سنة حسنة بنص الشارع. قال الحافظ ابن حجر في فتح البارى: وجاء عن الشافعي ما أخرجه البيهقى في مناقبه قال: المحدثات ضربان: ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً فهذه بدعة الضلالة ، وما أحدث من الخير لا يخالف شيئاً من ذلك

فهي محدثة غير مذمومة، قال تعالى «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي ٱلْأَمْرِ» الآية قال في كتاب [رد الأهواء والبدع]: فهذا محكم التنزيل قد جعل أحكاما كثيرة إلى العلماء وإلى الأمراء من الناس ينظرون فيه مالم ينزل بيانه إلى آخر كلامه.

وقد قال عز الدين ابن عبد السلام في القواعد البدعة خمسة أقسام:

فالواجبة كالاشتغال بالنحو الذي يفهم به كلامُ الله ورسوله، لأن حفظ الشريعة واجب ولا يتأتى إلا بذلك فيكون من مقدمة الواجب، وكذا شرح الغريب، وتدوين أصول الفقه، والتوسل إلى تمييز الصحيح والسقيم: والمحرمة مارتبه من خالف السنة من القدرية والمرجئة والمشبهة. والمندوبة كل إحسان لم يعهد عينه في العهد النبوي، كالاجتماع على التراويح وبناء المدارس والربط والكلام في التصوف المحمود، وعقد مجالس المناظرة إن أريد بذلك وجه الله. والمباحة كالمصافحة عقيب صلاة الصبح والعصر والتوسع في المستلذات من أكل وشرب

وملبس ومسكن، وقد يكون بعض ذلك مكروها أو خلاف الأولى، والله تعالى أعلم انتهى منه. وإلى أقسام الخمسة أشار ابن الغازى بقوله:

كن تابعــا ووافقن واتبــع
وقسّمن بخمسة هــذى البــدع
واجبـة كمثـل كتـب العلـم
ونقــط مصحـف لأجـل الفهم
ومستحبـــة كمثـــل الكانس
والجسر والمحراب والمـــدارس
ثم مباحــة كمثــل المنخــل
وذات كره كخوان المأكـــل
ثم حرام كاغتسال بالفتـات
وكاسيـــات عاريـــات مائــلات

الكانس: آلة الكنس، والجسر. القنطر، والفتات: ماتفتت من أجزاء الطعام، وكاسيات عاريات: اللابسات الثياب الرقيقة اهـ.

وقال في فتح البارى: إن الاجماع انعقد على جواز

كتابة العلم بل على استحبابه، بل لا يبعد وجوبه على من خشي النسيان ممن يتعين عليه العلم اهـ.

فقوله: كل بدعة ضلالة، عام مخصص وإلا فأنت ترى كتابة العلم ونقط المصحف وتعلم النحو ونحو ذلك محدثة، فهل نترك التعليم في المدارس لأنها محدثة؟ وهذا لا قائل به. وأما حديث «مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هذَا مَالَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» وإليك شرحه. قال الشارح: «مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا» ولمسلم «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا» وفي رواية«مَنْ أَدْخَلَ في دِينِنَا» وهو كذلك. وفي نسخة أخرى «فِى أَمْرِنَا هذَا» على ما في رواية صحيحة. هذا الأمر الواضح الكامل الذي لا يحتاج إلى زيادة إحداث ما ليس منه أى شيء لم يكن له من الكتاب ولا من السنة عاضد ظاهر أو خفيّ ملفوظ أو مستنبط، فهو: أى ذلك المحدث أو ذلك الشيء المحْدَث ردّ أى مردود غير مقبول، وهذا الحديث أصل فى الاعتصام بالكتاب والسنة وردّ الأهواء والبدع اهـ.

فلمثل هذا الكاتب يقول سفيان: الحديث مضَّلةٌ،

ذلك في حق قاصر العلم الذى يُحِلُّ اللفظ فى غير محله .
وقوله : فلم نر أجراً لمن قرأ القرآن فى الراديو فيرده ما أخرجه الترمذي : « مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ وَالْحسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لاَ أَقُولُ الٓمٓ حَرْفٌ وَلكِنْ أَلفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » وأخرج أبو داود عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فى بَيْتَ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهَمْ إلاّ وَنزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَـةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلئِكة ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال رَجُلٌ : أيُّ الْعَمَلُ أحَبُّ إِلَى اللهِ ؟ قالَ : اَلْحالُّ الْمُرْتَحِلُ ؟ قالَ : وَمَا الحَالُّ الْمُرتحِلُ ، قال : الَّذِى يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ إِلَى آخِرِهِ كُلَّمَا حَلَّ ارْتحَلَ »
وأخرج عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قالَ « إِنَّ الّذِى لَيْسَ فِى جَوْفِهِ شَىْءٌ مِنَ الْقُرْآنَ كَالْبَيْتِ الْخَرْبْ » ولأحمد عن عُقْبَةَ بِنْ عامر رفعه « لَوْ أَنَ الْقُرْآنَ جُعِلَ فى إِهَابٍ ثُمَّ أُلْقِىَ فِى النَّارِ مَا احْتَرَقَ » .
وأخرج الترمذى وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها أن

النبى صلى الله عليه وسلم قال: المَاهِرُ بالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » إلى غير ذلك من الأحاديث التي ترغب في قراءة القرآن والإكثار منها، وذكر ما للقارىء من الأجر والثواب. فإن كان كاتب الرسالة مصرِّحا بنفي أجر قارىء القرآن في الراديو فالخلاف بينه وبين الشارع صلى الله عليه وسلم، أجارنا الله من ذلك.

وفي سماعه أجركما في تلاوته. أخرج أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مَن ٱسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ مُضَاعَفَةٌ وَمَنْ تَلاَهَا كَانَتْ لَهُ نُوراً يَوْمَ القِيَامَةِ ». تفرد به الامام أحمد.

وقوله لا نرضى بقراءة القرآن في الراديو قول لا يصح: فقد ارتضى القراءة فيها إجماع المسلمين في العصر الحاضر.

إذا رضيت عني كرامُ عشيرتي
فلا زال غضباناً عليَّ لئامها

وإني أنقل لك الآن أحاديث صحيحة عن السنة، وتفهم فيها هل ترى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بكل ما كان وما يكون إلى يوم القيامة؟ فترى فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشار إلى الراديو وإلى الطائرة وإلى التليفون، أم تقول هذه الأحاديث وردت في أمور شتى لسنا بصددها كما قلت في قوله تعالى « وَيَخْلُقُ مَالاَ تَعْلَمُونَ »؟

علـيَّ نحت المعاني من معادنها
وما علـيَّ إذا لم تفهم البقر

أخرج الترمذي عن أبي سعيد رفعة « وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ وَحَتَّى تُكلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةَ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِه وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بما أَحْدَثَ أَهْلُهُ ». وخرّج الترمذي « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ فَتَكُونُ السَّنَةُ كالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كالْجمعَةِ والجُمْعَـةُ كالْيَوْمِ، ويَكُونُ الْيَوْم كالسَّاعَـةِ وَالسَّاعَةُ كالضَّرْمَةِ مِنْ النَّار » وفي رواية « وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ تَسُوقُ النَّاسَ فَتَبِيتُ مَعَهمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتَقيلُ مَعَهُمْ

حَيْثُ قَالُوا ». وأخرج الشيخان « لاَ تَقومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى ». وأخرج في المستدرك « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَانَ وَحَتَّى تُكلِّم الرَّجُلَ عَذَبَةَ سَوْطِهِ وشِرَاكُ نَعْلِهِ وتُخْبِرُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ » هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه.

وأختم هذه الأحاديث بحديث أحمد في مسنده عن أبي زيد الأنصاري قال: « صلى بنا رَسُولُ اللهُ عليه وسلم صَلاَةَ الصَّبْحِ ثُم صَعِدَ المِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الْعَصْرَ ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ فَخَطَبنَا حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ فَحَدَّثَنَا بِمَا كانَ وَمَا هُوَ كائِنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا » قال: وانفرد به مسلم. قال البخاري في كتاب بدء الخلق، عن عمر ابن الخطاب أنه قال « قامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَقاماً فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ حَفِظَ ذٰلكَ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ ». وفيه: « لَقَدْ تُوفِّيَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه

وسلم وَمَا طَائِرٌ يَطِيْرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أَذْكَرَنَا مِنْهُ عِلْماً »اهـ.

وإليك إشارة تفتح عليك الباب إن نوَّر الله بصيرتك: السباع تكلم الإنس، فأنت ترى الراديو كيف جاءت أنواع منها على شكل السباع والله أعلم. وعذبة السوط التي تكلم الرجل وتخبره بما فعل أهله بعده، طرق تليفون أي (السماعة) والله أعلم. وتقارب الزمان وقع بطيء المسافات بالطائرة. وكذلك النار التي تسوق الناس نار الكهرباء وأكبر معادنها ظهر بعدنٍ، والله أعلم. وشراك النعل الذي يكلم صاحبه: ترى بعض السيارات وهي قائمة مقام شراك النعل تمشي عليها وتكلمك بالأخبار. ونار تخرج من الحجاز وتضيء أعناق الإبل ببصرى إشارة إلى تِلْوِيزِيون هل هذه أعلام لنبوة نبينا حيث أخبر بها قبل وقوعها بمئات سنين، وهل أشار إلى نهي أو كره « وما كان ربُّكَ نَسِيّاً » وما للجاهل والخوض في هذا؟ لقد استنوق البعير. واستنسر البغاث.

وكنت إذا قوم رموني رميتهم

فهل أنا في ذا آل همدان ظالم

ثم قال:

ونيتنا في ذلك كله تعظيم كتاب الله لا التشديد على العباد.

نعم هذه نية صالحة «وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» وَإِنَّمَا نَحْكُمُ بِالظَّوَاهِرِ وَاللهُ يَتَوَلَّى السَّرائِرَ بيد أنه لم يظهر لنا تعظيم كتاب الله فيما تعرَّض إليه صاحب الرسالة كما لم تظهر لنا إهانته بإذاعته واستماعه من المذياع، وصاحب الرسالة أبصر بمراده بهذا التعظيم.

ثم قال:

وحجتنا الشرعية الأخذ بالأصل، إذا لم نجد نصا في الكتاب ولا في السنة ولا إجماعاً ولا قياساً صحيحاً أخذنا بالأصل وتركنا الأمر على أصله. قراءة القرآن بلا واسطة آلة من آلات اللهو (الراديو) وغيره، فالحق أحق أن يتبع، والصدق حقيق بأن يسمع.

أقول: الأصل في كل شيء الإباحة حتى يقوم دليل على تحريم شيء؛ فإذاً الحق إباحة تلاوة القرآن في

الراديو، ومن حرّمها فقد تقدم بين يدي الله تعالى المنهيّ عنه في محكم التنزيل كما تقدم. ولأن تبصر القذى في عين أخيك أهون من أن تبصر الجذع في عينك. ولعل كاتب الرسالة إنما يريد بالأصل عادته هو؛ وإن كان جعل عادته حجة فلا كلام لنا في ذلك. وأما الأصل فليس له حجة في التمسك بالأصل فيما تعرض له. فكلامه آخرَه يضرب أوَّلُه قال:

لا تسلكنّ طريقاً لست تعلمها
بلا دليل فتهوى في مهاويها

آخر:

من لم يكن خلف دليل مُيسِّره
كثرت عليه طرائق الأوهام

ولله در الشيخ أبي حيان حيث يقول:

يظنّ الغمر أن الكتب تهدي
أخا فَهْم لإدراك العلوم
وما يدري الجهول بأن فيها
غوامض حيرت عقل الفهيم

إذا رمت العلوم بغير شيخ
ضللت عن الصراط المستقيم
فتلتبس الأمور عليك حتى
تصير أضلّ من توم الحكيم

وأخيرا قال:

ولا يطاع عالم في الباطل، والحق مقبول ولو من جاهل. والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب والسلام كلمة حق أريد بها باطل. وقوله: والحق مقبول ولو من جاهل. فالجاهل لا يعلم الحق وإن قال الحق فلا يعلم أنه قاله، فلهذا ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم «الْقُضَاةُ ثَلاَثَةٌ قاضِيَانِ فِي النَّارِ وقاضٍ فِي الْجَنَّةِ: قَاضٍ حَكَمَ بِغَيْرِ الْحَقِّ عَلِمَ أَوْ لَمْ يَعْلَم، وَقَاضٍ لَمْ يَعْلَم بِالْحَقِّ وَلَوْ حَكَمَ بِهِ فَهُمَا في النَّارِ» ومفرد الثلاثة من علم بالحق وحكم به. فبهذا تعلم أن الجاهل لا يعلم بالحق وشفاء الجهل السؤال «فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ».

خاتمة

وأختم هذه الرسالة بما ختم به صاحب الروض الباسم كتابه قال: إخواني فلا يستخفنكم الذين لا يوقنون ولا يستغوينكم الذين يسمون المؤمنين بالسفهاء «أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ». ولا يُطش وقاركم الذين يسخرون منكم «سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» لقد استهزءوا قبلكم بجميع الأنبياء والمرسلين وسائر المؤمنين، وقد حكى الله عنهم أنهم «كانُوا مِنَ الَّذينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ، وإِذَا مرُّوا بِهِمْ، يتَغَامَزُونَ. وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ انْقَلَبُوا فكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هؤُلاَءِ لَضَالُّونَ».

فتأسوا رحمكم الله بمن تقدم من المؤمنين في الإعراض عن المستهزئين « اللهُ يَستَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ في طُغْيَانِهِم يَعْمَهُونَ. أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحت تِجَارَتُهمْ ومَا كانُوا مُهتَدِينَ » وعليكم بالقرآن فإنه الطبيب الآسي والكريم المواسي. ارتعوا في رياض حواميمه. وانتفعوا ببيان طواسيمه، واقتدوا بأنوار مصابيحه، واستقوا بأنواء مجاديحه.

الأنواء: السحب. والمجاديح جمع مجدح: وهي النجوم الدالة على المطر، فإنه المعجز الذي لا تتناوله طارقات العباد، والحجة البالغة على أهل العناد، والجديد الذي لا يخلَق على طول التَّرداد، ولا يبلى على مرور الآباد، قرآن بُلِي قشيب الزمان وإعجازه جديد، هرم شبابُ الأيام، ورونقه إلى مزيد، إلى أن قال « قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتْ الانَسُ وَالْجِنُّ على أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهيراً ».

فاستنصحوا القرآن واستهـدوه. واستخـبروه واستشفوه، فإنه الناصح الذي لا يَغُش، والهادى الذي لا

يضلّ، والمحدِّث الذي لا يكذب، والطبيب الذي لا يخطأ، واتهموا عليه آراءكم، واستشفوا فيه أهواءكم، واستغنوا بمنطق القرآن عن منطق اليونان، وانظروا فيما أمركم بالنظر فيه متبعين في كيفية النظر فيه لرسوله الذي أَثنى على متبعيه.

فسرحوا أبصار بصائركم وأفكار ضمائركم في سماء مرفوعة، وأرض موضوعة، ونجوم في مقدرات منازلها سيَّارة، وعلى محكمات أفلاكها طوارة زينة يجتليها أعين المعتبرين، ومصابيح يتوهج أنوارها للمتفكرين منها ثواقب وثوابت، ومعالم ورواجم، وأقمار نوَّارة، وبحار موَّارة، وأرواح خفاقة، وأنهار دفاقة، وسحائب ثقال مطارة، وعيون سيالة وقطارة، وأودية غير مفسدة المهارف نافذة في المغارب والمشارق، وحيوانات حساسة، منها في الأجواء طيَّارة، ومنها على الأقدام سيَّارة، ومنها أم مكلفة، ومنها أخرى مسخرة. ولكل أرزاقٌ مقدرةٌ وأحوال مقررة، ونعم ونقم، وعبرةٌ وعِبر، وفيها المنهى والمعزى، والمعافى والمرزى، والضاحك والباكي،

والمغبوط والشاكي، ورسل الله في خلال ذلك تترى، وكتبه سبحانه لا تزال تقرأ فسبحانك اللهم ما أعظم ما يُرى من خلقك، وما أصغرَه في جنب قدرتك، وما أجلّ ما نشاهده من سلطانك، وما أحقر ذلك في جنب ما غاب عنا في ملكوتك، وما أصدق ما قلت في كتابك المبين، يا أصدق القائلين. (ولَوْ أَنَّ ما فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) اهـ.

ولا يخفى عليك أن كل هذه استعارات لعظم علوم القرآن، وفقنا الله وإِيَّاكُمْ لما يحب ويرضى وداوى بمنه قلوبنا المرضى آمين.

وبعد: فهذا آخر ما أردنا جمعه في هذه النازلة «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَينَةٍ وَإِنْ عُدتمْ عُدْنَا» وسميتها: [الحجَّة البالغة: في كون إذاعة القرآن بالراديو سائغة] وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم، وعلى آله وصحبه السادة القادة وسلم تسليما اهـ انتهى والحمد لله.

تقاريظ

- ١ -

ولما فرغت من تسويدها قرظها الشاب الرابح والولي الصالح، فتى الفتيان، ومجلى حلبة الرهان، السيد محمد عبد الله ابن السيد حفيد الولي الكبير، والقدوة الشهير، محمد الكبير ابن عباس العلوى التجاني بقصيدته الطنانة وهي:

الْحقُّ حَصْحَصَ والْهُدَى بِكِ أُظهِرَا
وَبِدا الصِّرَاطُ الْمُستقيمُ وأُحضِرَا

وَضَّحتْ عَذَارَى العِلمِ مِنْ أَخْدارِهَا
وَغَدا الهُدى بِوُضُوحِهِ مُسْتَبْشِرَا

أَفَتَى أَبُو إسحاق أَمْهرُ عَالِم
أفتَـى وأعمَـلَ نَقَسَهُ والمِزبَرَا

فَبدت لنا شَمْسُ الصَحْوِّ صَحائِفَا
وكَتَائِـبَ البيضا الحنيفةِ أَسْطُرا
يَا حُجَّـةً بِالحـقِّ بَالِغَـةً بِهَا
قَيْـدُ المُذيعِ يَفكُّ وهْوَ تَقٍ بَرَا
قَد جِئت بالحق الصَّرِيح وَإنما
عيشُ الضلالة حيث جئتِ تَكدّرا
فَالحـقُّ إن يُقْذَفْ على بُطل به
يُدْمَغْ وَبازِى الحَقّ ها هو صَرْصَرَا
أَفْتَـى إِمَامُ المَنْهَجَيْنِ كدأبه
بالحـق وهو لـه نصير مُسْتَرَى
فَأجاءها طِبْـقَ المُراد بَديهـةً
حيناً وكم أَسنى المُجيدُ وأَشْهَرَا
تَنْساقُ في ذِهن البليـد لحسْنُها
وتَسُلُّ من خلَد الذَّكَا ما أَضْمَرا
شَمسٌ تشقُّ دُجَى الجهالة ينـتيء
حَلَكُ العمَى عَن ضَوْئها مُتَفَطّرا

وَافَتْ وآياتُ الكتاب أَساسُهَا
وحَيا طُهـا نَـصُّ الصحيحُ مُقَرَّراً

ومُسلَّمُ الإِجْمَاع مَحضاً سَقفُها
فَهِيَ الثَّلاثُ وَهلْ وَرَاء تِلْكُمَ وَرَ

يَا مَنْ يُعارِضُهَا بِسَطْوَةِ عُجَبِه
اطْرِقْ كَرَا إن النَّعامَ لَفِى القُرَى

واتْركْ بَتَاتـاً ما تقول فقد غدا
إِنكـارُكَ الجَهلِـيُّ كُـلاً مُنكَرا

فَلْتعطِ قَوْسَ العِلمِ بَارِيَهَا وَدَعْ
عنـك الجِـدَالَ تمشدُقاً وتهوُّرا

واعْلَم بأن العلمَ شَيءٌ لَفظُـهُ
سَهْـلٌ ومَعنـاهُ للأكـثرِ مُفْتَرَى

مَـا كُلَّ مَن وَدَّ الظهورَ بعالم
إن تَرْجَم البُرهانَ عنه فأَخْبَرا

والمُدَّعـى عِلماً فَاسْلَمُ رأيه
لو كان فيه عن الفتاوى قصَّرا

كم بُيِّنَتْ جُهل الفَتى أنقالُهُ
مِن بعـدَه حُجِى الخبيرَ الأَمهرَا
وَأَبـانَ مُكْتَنُ الحُماقَـةِ نُطْقُه
مِنـهُ وَكُلُ حِجًى وَمَا قَد أَثْمَرا
فَتَصَفَّحِ الفُتْيَا لِتُفْهَمَ مَبْحَثاً
منهـا لعلـك أن تَئُوبَ فَتُعـذَرَا
هـذا هو الحق الصميمُ وهذه
طُرقُ الهدى الْبيضُ التي تُدْثَرا
يـا حجةَ الحق التي دُمِغت بها
حَجَـجُ العمى ممن تهيَّع وافترى
مَـا إن تركتِ لقائل من قولةٍ
إلا الخضوعَ لما حوَيتِ والا فْتَرَى
لله دركِ من إتــاوةِ خاطرٍ
غـادرتِ قَصْرَ الجَهْلِ ربعاً مُقفَراً
وجمعـتِ كل العلم في كراسةٍ
أصلاً وفرعـاً مَجَمِـلاً ومفَسِّراً

وضَّحتِ خافيةً وزدتِ جَليَّةً
وحَسَمْتِ واهيَه لكي لا يُمترا
فالأصلُ ذا والفرعُ ذا والنصُ ذا
والشرحَ ذا ما شاءه المفتى قَرَا
يا ناصِرَ لإسلام بالسَّيف الذي
ما إن يقابلُه خُنًى إلا انْفَرى
يا نافِيَ البِدَعِ التي عمَّتْ ويا
بحَر الحقيقة يا وحيداً في الورى
ألّفتَ تأليفاً عظيما شأنُهُ
زاد الألبَّا رغبةً وتحيُّرا
نَثَرا الْفَصاحةَ والبلاغَةِ لؤلؤاً
وكسا اللئالىء والزَبَارِجَ دَفْتَرا
ودَحَا المقالَ الفَصْلَ في فَحْوائِهِ
والراجحَ الأقوى القريبَ الأَشهَرا
ما رمتَه إلا لتبديَ ما اختفى
نَصْراً لدين المصطفى وتبحُّرا

لكن هذا ديدنٌ لك دائما
مذ كان حالُك عن مقامك عَبَّرا
هذا ويَعلَمُ مَن تأمَّل هذه
أن المصونَ وسرَّه لك بُعثِرا
تبكى قِلامُك بالعلوم صحيحها
دأباً دموعاً بالتهجر والسَّريَ
لا زال سيفُ الحق يعلو مُصَلَتاً
بكُمُ وجيشَ البُطِل يمشى القهقرى
يا أيها الشيخُ المجيبُ بقاهر
لما دعَا داعِي الهدى واستنَصَرا
إن لم يُوَالِكَ جَاهِلٌ متعالِمٌ
في قلبه صَدَأٌ التكاثر أثراَ
فاعذُرْهُ إذَ دَا آنِ أصْبَحَ مُبْتَلىً
بهما كِلاَ الدَّاءينْ أَشْنَعُ ما اعْتَرَى
دَاءُ التظاهر وهو دَاءٌ مُعَضِلٌ
والجهلُ وهو أَشَدُّ داءٍ خَمَّرَا

لا سيما الجهلُ المركَّبُ إنه
لم يُسمَعِ الآوِى إليه ولمْ يَرا
ثم الصلاة على النبي وآلـه
ما خاب من جهل الصواب وأَنْكَرَا اهـ

- ٢ -

وقد قرظه النور الواضح، والولي الصالح، الخليفة التجاني ابن خلفائه مَنَّ آبَّ بن محمد بن أحمد بن محمد الحافظ بقوله:

إن شمس الصواب دون نكير
تاسع النحر أشرقت من ثبير
أشرقت بالصواب وهي سطور
أشرقت كالنهار وقت الهجير
حجَّها الناس كعبة إذ رأوها
لبغـــاة الصواب كالإِكسير
كبَّروا الله إذ هداهم إليها
وهو دون التكبير جِد كبير

وإذا كبَّروا الإلـــه بأمر
منـه، وهو الكبير دون نكير
أيَّ شيء أحـق إذ ذاك شرعا
من كــلام الإلــه بالتكبــير
حيـثما المشرك استجار أجره
لسماع الكـــلام حـــكم المجــير
فيــه أمر لنــا سماعٍ كــل
من ذوى الفسق من علـيم خبير
يـا مذيع الصحيح مـن كل علم
بعـد طول التنقيـح والتحرير
كنــت نوَّرت بالصواب قلوبنا
منـــك محتاجــة إلى التنوير
وبه قد بصَّرت من كان أعمى
قلبَــه قبـــل ذاك التبصــير
كم مَّعـانٍ فسرتهـا منه عنها
كنـــت عـــبرت أحسن التعبــير

إن أذيعت عمَّ انتفاع البرايا
من بيــان التنزيــل بالتفسير
منـه بلغـت حجـة بالغـا مـا
أوضحـت من كلام رب قدير
مـا أبانت مِن الأدلة ينفى
خَبَـثَ الجهـل فهمـهُ كالكـير
ونسيم الصواب هـبَّ يباهي
بشذاهـا الذكي رىّ العبـير
يا سفير الإسلام للحق مهما
أخطـأ الحـق فهم كـل سفـير
بـك بانت شمس الحقائق لكن
لم تر الشمس عـينُ كل ضرير
فليقصّر عما انتهجت مَنَ اَضْحَى
ليس في العـير علما أو في النفير
كم أمـير بعقلـه كـان عقـل
عن مـداكم وكم كذا من وزير

حبكم قائد لجنة عدن
عكسه البغض مُشْعِر بسعير
زادكم الله في الوجود امتدا
دا وبقا لأطول التعمير
وأدام الإلٰه علمك يبدي
من علوم القديم علم الأخير
بالنبي البشير صلِّ إلهي
منك ذاتا على البشير النذير اهـ

- ٣ -

وقال الفتى الأديب، العبقري، الأريب، نابغة الشبان، السيد محمد المختار بن المجتبى:

بدا الحق فلينكره من هو مشفق
على البطل وليفرح لذاك المصدق
ويهتد من رام الهدى بك حجة
من الحق نور الحق إذ جئت مشرق
برزت وما أبرزت إلا خلاصة
بها الحق يعلو والأباطيل تزهق

برزت وإن خط مثلك مزبر
لعمري وإن ضم مثلك مهرق

تولت خصام الغى إذ جئت حجة
يخبر فيها بالصواب ويُنطق

وفاضت من العرفان والعلم أبحر
زواخر طام موجها تتدفق

رعى كل من يرتاد علما محققا
رياض علوم عرفها بك يعبق

ولا عجب إن جئت أبلغ حجة
بها حجج الأنذال تمحى وتمحق

فمهديك من أضحت منائر هديه
على قنن العلياء تعلو وتخفق

أبنت أبا إسحاق يا محتد العلا
أو ابد علم خالد الجهل تسحق

هو الحق لم يعبأ بباعث غيره
من الناس إلا الأحمق المتزندق

هو الرشد والرأي المصيب وضده
هو الغى يردى أهله والتمشدق

ألا فاقرءوا القرآن لا تصدكم
أقاويل غمر واعبدوا الله واتقوا

فما كان في المذياع أو في سوائـــه
سواء وقول الحـق للغمر مخنق

أيا حجة لم يعد عما حويته
وبلغتـــه إلا المضـــل المضيـــق

وإلا غبـــى سامر الجهـل مذ نشا
فغـادره وهو الضعيـف المعوق

أتيـتِ فلم يبـق بعد لقائل
مقـل كذلك الحق يعلو ويسبق

من الشيخ لما جئت جئت بجحفـل
فأصبـــح لْهُمُومُ الضـــلال يمزق

ولكنها صار الذي أنكر الهـــدى
على عظم ذا أن يعلم الحق ضيق

يكذبـه جهلا على بعد داره
وحيث التقى الجمعان يكرى ويمرق

أيا من بحبل الشيخ متوا تعلقوا
به وبنيل الكل من قصدكم ثقوا

فلم يقفو إلا سعيد مسارع
إلى الحضرة العليا محق محقق

وذي حجة با لحق تدمغ بطل من
يناويكم والحق أقوى وأصدق

ينكب عن مضمونها كل مخطإٍ
سفيه ويقنيها المصيب الموفق

صحاح المعاني بالبلاغة والذكا
تقرب في ألفاظهـــــا وتشرق

إذا رآها من مطلق الحق قصدهم
تنادوا إليها رغبة وتشوقوا

أتت إذ أتت في مهيع الرد صورة
تُغَرغِرُ أشلاء المضـــل وتعرق

ولكن لكل العلم أضحت مداركاً

تجمع فيها شمله المتفرق.

فحوزوا بها المأمول واستمسكوا بها

وخلو المرا ثوب المراء مشبرِقُ

صلاة على من أنزل الذكر محكما

عليه مع التسليم ما حنَّ شيق اهـ

(لينفق ذو سعة من سعته)

– ٤ –

وقال ملتزم طبع هذا التأليف النافع أبو الفوز الحاج أحمد بابه الواعظ ترجمان صاحب الفيضة بساحل الذهب كوماس

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن قرّب أولياءه المقربين إليه منهم، ومنحهم في حضرة شهوده الفناءَ به عنهم، والسلامان لا ينقطع على الدوام مددهما على سيد أهل الشهود الرباني سيدنا محمد وآله الذين رزقهم الله من شهوده غاية المقصود آمين.

وبعد: فقد منَّ الله عليّ وله الحمد الجميل والشكر الجزيل بالتزامى الإنفاق على طبع هذا الكتاب الذي ليس له في الخافقين مثيل، ولا فيما احتوى فيه من درر المعاني الحقانية ممار، فهنيئاً لنا بوجود هذا الغوث فينا صاحب الفيضة الإبراهيمية مؤلف هذا الكتاب، وأصبحنا ولله الحمد واردين عنه وأبناء روحه الظاهرين على كل منكر.

وإنما قمت على طبع هذا خدمةً لشيخى ومربىّ، ولوجود إذني منه مراراً لأمثال هذه الخدمة وغيرها، فجزاه الله عنا خيراً والسلام.

انتهى كتاب الحجة البالغة

في كون إذاعة القرآن بالراديو سائغة

في

مركز الأبجدية للصف التصويري

بيروت - لبنان

صندوق البريد ٤٤١٥- ١١

تلكس بساط LE ٢١٣١١